

خصائص النصّ المعجمي في معجم شجر الدرّ¹

الطالبة فتيحة آيت الجودي¹، أ.د. آمنة بلعلي²
¹ مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري- تيزي وزو
 fatiha.aiteldjoudi@gmail.com
² جامعة مولود معمري- تيزي وزو
 Salih1927@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/10/20

تاريخ القبول: 2020/06/27

تاريخ الإرسال: 2019/11/09

الملخص: ارتأت هذه الورقة البحثية أن تُعالج خصائص النصّ المعجمي في معجم شجر الدرّ؛ من حيث بنيته وأهم القضايا التي طُرحت فيه، مُركّزين على إبراز مظاهر التجديد فيه؛ على مستوى طرق التعريف بالمعنى المعجمي وأسلوب عرض مكوناته، وأهم القضايا الدلالية التي عُني بها في صلب النصّ المعجمي كالمشترك اللفظي. وقد خلُصت الدراسة إلى تعيين مميزات النصّ المعجمي في شجر الدرّ المؤسس على مفهوم المشترك اللفظي، إضافة إلى استنتاج أن عملية شرح المعنى في صلب هذه النصوص ارتكزت على توالد الألفاظ. الكلمات المفتاحية: نصّ معجمي؛ مشترك لفظي؛ دراسة معجمية؛ شجر الدرّ.

Lexical text properties in Chajar Addorr lexicon

Abstract: The purpose of this paper is to investigate the characteristics of the lexical text in Chajar Addorr lexicon, in terms of its structure and the most important issues raised in it, on the level of methods of definition in the lexical sense and the presentation of its components, and the most important semantic issues that have been dealt with in the lexical text such as the polysemy, The study concluded to determine the characteristics of the lexical text in Chajar Addorr based on the concept of the polysemy, in addition to the basis of the process of explaining the meaning in these texts on the breeding of words.

Key words: lexical text ; polysemy ; lexical study ; Chajar Addorr.

¹ فتيحة آيت الجودي ، fatiha.aiteldjoudi@gmail.com

مقدمة: في الوقت الذي انشغل فيه علماء العربية بجمع اللغة، وجرّد ألفاظها ومعانيها كيفما اتفق، وكذا عن طريق تبويبها ضمن مواضيع ورسائل، كانت صورة معجم العين قد بدأت تتشكل في ذهن الخليل (ت ١٧٠هـ)، ولا يخفى على أحد ما عرفته الدراسات اللغوية والمعجمية تحديدا من نقلة نوعية بعد وضع كتاب العين، وبالأخص في الجانب التطبيقي منها، من استحداث لمناهج جديدة في التبويب والترتيب أو ما يعرف بالمعالجة القاموسية، غير أنّ فكرة التجديد لم تقتصر على مسائل الوضع باختيار المداخل وترتيبها من وجهة فنية صرف؛ وإنما تظهر ملامح التجديد كذلك على مستوى النصّ المعجمي الذي عرف، وباستمرار، تعديلات ملفتة في بنيته والتي مسّت مكوناته اللفظية والدلالية وكذا على مستوى طرق معالجة المعنى، وعليه ارتأت هذه الدراسة تتبع خصائص النصّ المعجمي العربي وتحديدًا رصد علاقات الأبنية فيما بينها بالدلالة المعجمية، لا سيما أنّ النصّ المعجمي في معاجمنا القديمة لم ينل حظا من الدراسة إلا قليلا، نذكر منها دراسة الطاهر ميلة المعنونة بـ "محتوى النصّ المعجمي وبنيته في كتاب العين". ولتحقيق هذه الغاية وقع اختيارنا على واحد من المعاجم اللغوية والذي لم يحظ حسب علمنا، باهتمام الدارسين حديثا على الرغم من ثراء مادته اللغوية وأصالته وتفرد كعمل معجمي، وهو كتاب "شجر الدرّ" لصاحبه عبد الواحد بن علي أبو الطيب العسكري (ت ٣٥١هـ) لِمَا كشفت نصوصه عن تجديد على مستوى المحتوى وعلى مستوى كيفية تمثّل المعنى وطرق معالجته، وعليه فإن دراستنا ستنحو منحاة الكشف عن النظام الذي يُسيّر البنى في النصّ المعجمي؛ بالوقوف على مكوناته وأهم علاقات المعنى فيه وطرق التعريف به، وعليه فإن هذه الدراسة ستحاول الإجابة عن الأسئلة الرئيسة التالية: ما خصائص النصّ المعجمي في شجر الدرّ؟ وما الجديد الذي تقدّمه مضامين هذه النصوص على مستوى المكونات وطرق التعريف؟ ويمكن بناء على هذه الإشكالية وضع الفرضيات التالية: يحتوي النصّ المعجمي في شجر الدرّ على خصائص تزيد عن تلك في النصّ المعجمي العربي القديم؛ ترتبط خصائص النصّ المعجمي بنوع المعلومات التي ترد فيه وطريقة عرض هذه المعلومات؛ إذا تعددت طرق التعريف بالمعنى المعجمي فإن المعلومات التي ترد في النصّ المعجمي ستكون ثرية ومتنوعة. وقد استعانت الدراسة بالمنهج الاستقرائي التحليلي لأنه الأنسب لتتبع خصائص النصّ المعجمي ودراسة مكوناته من خلال تحليلها والتعقيب عليها، وكبداية لا بد لنا من التعريف بمعجم "شجر الدرّ" وبصاحبه.

1- كتاب شجر الدرّ لعبد الواحد الطيب العسكري: هو عبد الواحد بن علي أبو الطيب العسكري المعروف بأبي الطيب اللغوي، أديب وشاعر ونحويّ متبرّز في اللغة، درس على أيدي

أثمة اللغة في عصره أولهم والده وأبي عمر المطرز البغدادي الذي تأثر به كثيرا وعنه أخذ فكرة تأليف كتابه الذي بين أيدينا، بعد أن اطلع على كتاب "المداخل" قبل أن يضع "شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة"، توفي في الواحد والعشرين من ذي القعدة سنة ٣٥١هـ. يمتاز معجم "شجر الدر" عن غيره من الكتب الموضوعية في اللغة بتبويبه الفريد حيث قُسمت أبوابه إلى أشجار ست جعل لكل واحدة منها فروعاً إلا السادسة، وتحتوي كل شجرة على مائة كلمة ترتد إلى كلمة واحدة هي "الكلمة الأصل"، كما وضمت هذه الأشجار والفروع شواهد مختلفة من الشعر.

2- شجر الدر وكتاب المسلسل: أشرنا أنفاً إلى وجه العلاقة بين معجم شجر الدر وكتاب المداخل لأبي عمر المطرز البغدادي، من كون أبي الطيب العسكري قد اطلع على كتاب هذا الأخير بحكم العلاقة التي تجمعهما بصاحبه، ونظراً لعدم توفرنا على نسخة من كتاب المداخل فإننا صرفنا النظر عن عقد مقارنة بين محتوى الكتابين وعضنا هذا النقص بكتاب آخر يُشاكل الأول على الرغم من تأخره عن كليهما زمنياً، وهو كتاب "المسلسل في غريب لغة العرب" لصاحبه أبي الطاهر محمد بن يونس بن عبد الله التميمي، وبالتالي فإن اختيارنا لهذا الكتاب لم يكن اعتباطاً وإنما يُعلل بالصلات الوشيحة التي تجمع المؤلفين على الرغم من تباعدهما في تاريخ التأليف. والهدف من المقارنة ليس ذكر فضل أحدهما على الآخر أو إثبات قيام الثاني على الأول، وإنما لتيسير إضاءة بعض الجوانب من البحث التي ما كانت لتتوضح دون الإفادة من مضمون هذه الذخيرة اللغوية بالاستشهاد في مواضع من الدراسة بأمثلة من المسلسل، لذا فقد يقع القارئ في ثنايا هذه الورقة البحثية على إشارات في مواضع متفرقة إلى كتاب المسلسل كانت مقصودة لإثراء الدراسة وإفادة القارئ.

3- خصائص النص المعجمي في شجر الدر: يُعنى بالنص المعجمي الشروح التي تُوضع أمام مداخل المعجم، والتي يتطرق فيها المعجمي إلى التعريف بمعنى المدخل بتحديد دلالاته، كما قد يتضمن بالإضافة إلى ذلك، بعض المعلومات اللغوية كذكر بعض مشتقات الجذر وتحديد معناها، وقد يتعرض أثناء التعريف بالمعنى إلى دلالة إحدى مشتقات الجذر، عن طريق إيرادها في عبارات وتراكيب نثرية أو شعرية، إلا أننا في دراستنا هذه، سنوسّع من مفهوم النص المعجمي ليشمل المدخل والنص الشارح معاً، وهذا بغية توضيح بعض المسائل في معجم شجر الدر التي تستدعي دراسة المداخل في علاقتها بنصوصها باعتبارها موضوعاً للدراسة كوحدة غير قابلة للإنفكاك، حيث المدخل لا قيمة له منعزلاً بل قيمته في علاقته بالنص الذي قُفي به.

أشرنا سالفاً إلى رؤية المؤلف الفريدة في تبويب الكتاب، والتي قامت على مفهومي الباب أو الشجرة والفرع، وقد اكتفينا في هذه الورقة بدراسة الشجرة الأولى لأنها لا تختلف عن باقي الأشجار من حيث المضمون ومنهج العرض، ونستثني منها الشجرة الأخيرة والتي طُرحت ببعض الخصوصية لأن المعجمي أوردتها بدون فروع. يبدو أن المؤلف قصد إلى هذا الإطلاق كتعبير عن وجود صلات تجمع مفردات العينة الواحدة أو مكونات الشجرة الواحدة، وليؤكد على مبدئه في التأليف والقائم على مفهوم الترابط والتسلسل في الكلام والمعنى؛ فإنه عرض في مقدمة الكتاب للمعنى اللغوي للجزء "شجر" وقدم بعضاً من مشتقاته¹.

وبناء على هذا التقسيم الذي اعتمده يمكننا دراسة خصائص النص المعجمي المخصص للشجرة الأولى مع نصوص فروعها، حيث سنحاول رصد أهم ما يميز النص المعجمي في شجر الدرّ وأبرز خصائصه؛ من حيث ما يتضمنه من معلومات وطبيعتها، وكذا كيفية ورودها كمسألة التعريف بالمعنى وعلاقات الوحدات المعجمية، مع إبراز الجوانب التي يختلف فيها النص المعجمي في شجر الدرّ عن النص المعجمي العام في باقي المعاجم التقليدية والابتكارية.

3-1- دور الكلمة في النص المعجمي لشجر الدرّ: يقوم المعجم على نظام اللغة العام

بفرعيه، والذي يشمل الوحدات المعجمية المنفردة والتراكيب اللغوية، أو ما يُعرف في الدراسات اللغوية بالنحو، وقد أوضحت الدراسات التي عُنت بالمعجم العربي القديم عن توجه سار فيه عديد من المعجميين العرب، وهو توجه قائم أساساً على مفهوم الكلمة²، كوحدة يقوم عليها البحث المعجمي باعتباره بحثاً في المعنى، وذلك من منطلق ربط المعنى بالكلمة وبالصيغة، ويبدو أن شجر الدرّ لا يختلف في تكوينه عن المفهوم العام للمعجم وتحديدًا عما يعرف بمعجمية الكلمة، لأنه وضع أساساً على مفاهيم من أهمها الكلمة ذلك لأن المداخل وردت في متن الكتاب على هيئة كلمات مفردة ويمكن أن نذكرها لعددتها المحدود وبالترتيب الذي وردت عليه وهي: الصحن، الهلال، الثور، العين، الرؤبة، والنعل، حيث تشترك هذه المداخل في كونها جذوعاً من مقولة الاسم؛ والمقصود بالجذوع كل كيان صرفي معجمي تام ينتمي إلى إحدى المقولات الخمس، والتي تختلف عن الجذر المعجمي في المكونات الصوتية، حيث يتكون الجذر من الصوامت دون الصوائت، في حين أن الجذع يتكون منهما معاً³، ويُمكن أن نستخلص من النصوص التي أفردت للشجرة الأولى وفروعها، أن المعجمي مدركٌ تماماً لمفهوم الكلمة باعتبارها كياناً معقداً مجرداً كوحدة لغوية لها بنية ودلالة، لكنه طرح منها إحدى الجوانب التي تجعل منها وحدة معجمية مستقلة ومنفردة وهو المكون الصوتي الذي اعتبره عرضياً وغير تمييزي في الكلمة وذلك على مستوى الشجرة الواحدة وفروعها؛ أي على صعيد الكلمة الأصل وما يتفرع عنها من كلمات فرعية، لتعود هذه الخصائص لتُفَعَّل كلها ومن

جديد على مستوى الأشجار فيما بينها، وذلك لأن الشجرة الأولى تتفرع إلى فروع تشترك معها في الخصائص الصوتية وهي مكوناتها، لذلك فإن كلمة الصحن في الشجرة الأولى، والكلمات المدخل في فروعها هي كلمة الصحن كذلك، وفيما يلي سنعرض لمكونات الكلمة التي تجعل منها وحدة معجمية حسب تصور المعجمي، وكيف استثمرها في التعريف.

3-2- المكون الصوتي: يمكن أن تُحلل الكلمة أو المفردة على صعيد الأشجار باعتبارها وحدات معجمية ذات مكونات صوتية وبنية صرفية ومحتوى دلالي، حيث تظهر قيمة المكون الصوتي في النص المعجمي في العلاقات الخلافية بين مكونات مداخل الأشجار الست، حيث يتميز كل مدخل عن آخر من حيث الأصوات التي تتكون منها كل كلمة عن غيرها باعتبارها كلمات أصولاً مثلما أشار إلى ذلك صاحب المعجم، وهو ما يجعل من هذه المداخل على مستوى الأشجار وحدات مستقلة لاستقلال بنيتها الشكلية، أما دون ذلك من عناية بالأصوات من حيث تعيين مداخل وصفاتها فإن المعجمي لم يقدم أي دراسة للمكون الصوتي للكلمات سواء ما تعلق منها بالمداخل أو ما ورد في النصوص، كما لم يُشر في المقدمة النظرية للمعجم ولو بشكل من الأشكال إلى الأصوات اللغوية أو إلى الأصوات التمييزية (phonèmes)، وإن كان اهتمام المعجميين بالمستوى الصوتي للكلمة يكاد يكون متواتراً في كثير من متون المعاجم القديمة كاهتمامهم بالتمييز بين الحروف الأصلية في الكلمة وحروف الزيادة، إضافة للدراسات التي أفردت لها في مقدمات الكتب مثلما هو الحال في مقدمة العين حيث نجد أن الخليل قد اعتمد في تمييز الكلمة العربية من الدخيلة على ما يسمى بحروف الذلق والشفوية⁴، أما على مستوى الشجرة الواحدة وفروعها فإن التمييز يسقط من حيث التأليف الصوتي بين مدخل الشجرة الواحدة ومداخل فروعها، ففي الشجرة الأولى نلاحظ اتفاقاً في المكون الصوتي بين الصحن كمدخل للشجرة والصحن في الفرع الأول، واتفاقاً من الوجهة الشكلية بين مدخل الشجرة الثانية وفروعها والأمر نفسه على صعيد الشجرة الثالثة والرابعة والخامسة والفروع التي خصت بكل واحدة.

3-3- المكون الصرفي: ويقلُّ نصيب المعلومات الصرفية في النص المعجمي لمعجم شجر الدرّ حيث نادراً ما يُشير المؤلف إلى بعض الخصائص الصرفية للوحدات المعجمية التي يذكرها، ما يدل على أنه لا يهتم بالأبنية بقدر اهتمامه بعلاقات المعنى، وإن كان البحث المعجمي عند العرب أو غيرهم يقوم في جانب منه على البحث في البنية الصرفية للكلمة لها للوزن من دور في تمييز وحدة معجمية عن أخرى، إضافة إلى أن للوزن دوراً آخر أهم مرتبط بالمعنى وهو تثبيت معنى صيغة معينة من معنى الوزن إضافة إلى معنى الجذر الذي انحدرت منه، وهو أمر تفتن إليه المعجميون قديماً وأدروجه كعامل ينبغي أخذه بعين الاعتبار في

عملية التعريف بمدخل معجمي ما، وذلك نابع من خصائص اللغة العربية حيث معنى الكلمة ليس شيئاً خارجياً معطى لا يمت للكلمة ومكوناتها بصلة ضمن علاقة اعتبارية صرف، وإنما هو توليف بين المعنى الوضعي للكلمة ووزنها الصرفي، إذ قد تشترك صيغة وأخرى في حروفها الأصلية بيد أن الواحدة منهما تختلف في الميزان الصرفي عن الثانية ما يجعلنا أمام وحدتين مختلفتين وزناً ودلالة، فكلمة عالم وعلامة بينهما فروق دقيقة في الدلالة بفعل ما يضيفه كل وزن من دلالة فالأولى صفة أما الثانية فتفيد المبالغة على الرغم من اتفاقهما في الأحرف الأصول، ومن الأمثلة القليلة التي أوردها المؤلف والتي على قلتها لم يهتم فيها سوى بتعيين الوزن الصرفي لبعض الصيغ نذكر مثلاً ساقه في قوله: والنخيل: الدقيق (المنخول)، فعيل بمعنى مفعول⁵، ولذلك فإن ما ذكره لا يعدو أن يكون بغرض تعيين المفرد من الجمع على سبيل التمثيل في قوله: والفُرح: جمع أفرح⁶.

3-4- التصنيف المقولي: الوصف نفسه ينطبق على الجانب المقولي في مضمون التعريف والذي يقوم أساساً على تعيين انتماء الفروع والجدوع إلى إحدى المقولات الخمس، وهو ملمح عني به المعجميون العرب قديماً وصنّاع المعاجم حديثاً في عملية التعريف بالمعنى، وتكمن أهمية هذا التصنيف في التأليف المعجمي في ذكر انتماء المفردة إلى أحد أقسام الكلام الرئيسة وهي الاسم والفعل والحرف والظرف والأداة، غير أن ما نقع عليه في النص المعجمي لمعجم شجر الدرّ يُعد قليلاً جداً إذا ما قورن بما اعتدنا أن نصيب من هذه المعلومات في نص المعجم القديم، يمكن أن نذكر بعض الأمثلة على قلتها في قوله والتمهر: مصدر تمهّرت الحجر⁷، والخباء: مصدر خبأت الرجل⁸.

3-5- الدلالة واللعب العلامي: أما بخصوص الدلالة في معجم شجر الدرّ فهي مسألة مرتبطة أساساً بالمعجم ووظيفته، وقد سلك المعجمي اتجاهها جديداً في شرح المعنى والذي لم يقيم على التعريف بالحد بتعيين جوهر اللفظ إلا ضمن التعريف بوضع كلمات معدودات نذكر منها قوله: والديمومة: فلاة يدوم السير فيها بعدها⁹، وقوله: والمن: عسل كان يسقط من السماء لبني إسرائيل¹⁰، ويعود ضعف الأخذ بهذا النوع من التعريف في المعجم إلى استحواذ التعريف بالمرادف الذي اختاره المعجمي محركاً لسيروية الدلالة التي تصورها، حيث يعرف معنى كلمة بكلمة أخرى مرادفة لها في المعنى حيث يقول: والشوق: النصّب¹¹، لكنه مع ذلك استعان بألية التعريف في مواضع جد محدودة من المعجم كقوله: والديمومة: فلاة يدوم السير فيها بعدها¹².

المقصود باللعب العلامي الكيفية التي نظمت بها الكلمات في المعجم فيما تضمنته النصوص الشارحة، والذي يظهر في البداية في علاقات اختلافية والتي تظهر في شرح معنى

كلمة ما بكلمة أخرى مرادفة لها في المعنى ثم شرح الشرح بمرادف وهكذا إلى غاية استكمال المتوالية اللفظية المنتهية الحدود، حيث افتتح الشجرة الأولى بلفظ الصّحن، يقول: الصّحن: قدحُ النبيذ، والنبيذ: الشيء المنبوذ، والمنبوذ: اللقيط، واللقيط: النوى، والنوى الشحط¹³ إلى آخر ما ورد في مضمون الشجرة الأولى، والملاحظة الأولى التي يمكن تقديمها هي أن واضع الكتاب قد اشتغل أولاً على الألفاظ واستفاد منها بالربط بينها في لعبة لغوية ضمن قواعد محددة، وما يجعل من هذا العمل عبارة عن لعب بالكلمات أو لعب علامي كوننا نجد تماثلات وتشابهات وعلاقات بين ألفاظ الشجرة الأولى وبين ما ورد منها ضمن فروعها، حيث تظهر التماثلات على مستوى الألفاظ بين النبيذ(1) والنبيذ(2)، وبين المنبوذ(1) والمنبوذ(2)...، إلا أننا نقع كذلك على اختلاف بينها يُطرح على صعيد المعنى وهو اختلاف معنى النبيذ(1) عن معنى النبيذ(2)، فالأول واحد الأنبذة أما الثاني بمعنى بَبْدَهُ أو طَرَحَهُ.

ومن مظاهر اللعب العلامي ما يُلاحظ كذلك في المثال الذي سقناه من اعتماد على مفهوم البؤرة برهان المؤلف على كلمة محددة وهي ما يُطلق عليها الكلمة الأصلية وهي في هذه الشجرة كلمة الصّحن، ما يجعل الكلمات التي استدعت بعدها على هيئة متوالية لفظية وهي في المثال النبيذ والمنبوذ واللقيط والنوى، تدور حول الكلمة النواة وهي الصّحن، حيث تستدعي الأولى (النبيذ) الثانية (المنبوذ) والثانية الثالثة (اللقيط) وهكذا، وهذه العملية تستمر لتشمل ما ورد في فروع الشجرة الواحدة حيث تشترك جميعاً في كونها ترجع إلى مظهر لفظي واحد وهو الصحن، هذه الطريقة في عرض الألفاظ تكشف عن عبقرية المؤلف وعن فهم منطوق اللغة واشتغال العلامات اللغوية حيث مكنه بحثه في الإرث اللغوي على اتساعه وثرائه من الكشف عن تشابهات جلية بين الألفاظ، وهو عمل لا نعرف من سبقه إليه إلا مؤلف "المداخل".

غير أن هذا الابتكار الفني لا يخرج عن طبيعة اللغة في اتساعها وحيويتها ومرونتها، حيث إن الاهتمام إلى هذا الترتيب والتسلسل في عرض المواد يخرج المعجم من دائرة المفهوم الكلاسيكي الذي لصق به لعقود من كونه قائمة من الألفاظ مرفقة بمعانيها حيث يشكل كل لفظ كيانا مستقلاً عن الآخر، وبيضعنا أمام تصور جديد له باعتباره نظاماً من العلامات اللغوية، تربط بينها علاقات ضمن حركة قد تكون لانهائية لكون الكلمة الثانية علامة على الثالثة والثالثة علامة على الرابعة وهكذا¹⁴، وهو ما يتّضح في أمثلة عديدة من الكتاب مثل ما ساقه في الفرع الأول من الشجرة الأولى إذ يقول: والصّحن: إصلاح الشَّعْبِ، والشَّعْبُ: الرُّفُو، والرُّفُو: السكون، والسكون: جمع سَكَنٍ وهو النار، والنار: الوسم، وهو ما حاول أبو الطيب العسكري توضيحه في هذه النصوص، فهو لم يتبع الترتيب القديم في وصف الكلمات كوحدة مستقلة

كل ما يجمعها هو انتماؤها إلى مدونة واحدة وهو المعجم الواحد، وإنما نظر في ألفاظ اللغة وهي في شبكة من العلاقات التي تظهر على شكل تماثلات أو اختلافات.

4- الاشتراك اللفظي: يبدو التقسيم الذي وضعه أبو الطيب العسكري لمعجمه، والذي

كان وفق أشجار وفروع، مناسباً إلى حد بعيد لتجسيد تصوره القائم على اللعب على مستوى الألفاظ، حيث تحوّل النص الواحد منه إلى سلسلة من العلاقات القائمة على التشابه والتولد المستمر لألفاظ جديدة دون أن يفقد الخيط الذي يربط بينها اتصاله، وبعد فحص محتوى الشجرة الواحدة ومضمون فروعها تبين أنّ مفهوم العلاقات لا يشمل ربط الكلمات بعضها ببعض وحسب، وإنما تظهر وجوه من العلاقات كذلك بين الأشجار وفروعها، وعليه إن منطلق دراسته هو اللفظ المشترك بين الشجرة الواحدة وفروعها.

أجمعت آراء اللغويين على أن المشترك «أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر»¹⁵ دون أن يربط بين تلك المعاني رابط معنوي أو بلاغي، كلفظ العين الذي سيأتي ذكر أمثلة عنه، حيث يرجع أصل هذه الظاهرة اللغوية، على الرغم من إنكار البعض لحدوثه في ألفاظها، إلى أسباب عدة أرجحها متعلقاً باصطلاحية اللغة، حيث ينشأ من إطلاق واضعين من طائفتين مختلفتين لفظين للدلالة على معنى واحد، فيشتهران ويستعملان بالدرجة نفسها، كما يمكن ردّ الاشتراك إلى واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة. كما وحظي المشترك اللفظي بالعناية وحُصّ بالدرس من كثير من اللغويين وأفردت له المؤلفات وخصت له المصنفات نذكر من بين جامعي المشترك الأصمعي في "ما اتفق لفظه واختلف معناه" والفيروزبادي في "المتفق وضعا والمختلف صنعا"، إضافة إلى "المداخل" لأبي عمر المطرز و"المسلسل" لأبي الطاهر التميمي، غير أن الاشتراك نوعان دلالي ولفظي؛ فاللفظي هو ما يوافق مفهومه التحديد الذي أورده السيوطي من احتمال اللفظة معنيين أو أكثر وهو يختلف عن الدلالي الذي يقصد منه الترادف بقوله «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام»¹⁶.

وبناء عليه، فإن كتاب شجر الدرّ قد بني على فكرة المشترك اللفظي، ما يعلل التقسيم الذي حُصّ به، حيث يتكرّر لفظ الصّحن في الشجرة الأولى وفي فروعها، مثلما يتكرر لفظ الهلال في الثانية، ولفظ الثور في الثالثة، ولفظ العين في الرابعة ولفظ الرؤبة في الخامسة.

5- شرح المعنى بالإشتراك: إن التقسيم الذي أورده المؤلف القائم على مفهومي الشجرة والفروع والمعالجة قاموسية للمداخل الرئيسة والثانوية من حيث الوضع والترتيب تعزز فكرة الاشتراك التي بنيت وفقها أجزاء المعجم، حيث يلاحظ على صعيد الشجرة الواحدة وفروعها تكرار المدخل نفسه في الفروع وهو ما يصطلح عليه المؤلف بالكلمة الأصل وهي في الشجرة

الأولى كلمة الصحن، فهو لم يبق على مدخل واحد لكلمة الصحن وإنما يذكرها كمدخل جديد في كل مرة لتصير فروعاً للشجرة دون أن تفقد استقلاليتها كمدخل، هذه الطريقة في معالجة المواد مشتقة من مفهوم الاشتراك الذي يفيد احتمال اللفظة لأكثر من معنى، حيث يظهر اعتماد المؤلف على الشرح بالاشتراك على مستوى الشجرة الواحدة وما يتفرع عنها من فروع. غير أن ذكر كلمة الصحن ضمن مداخل جديدة كل مرة يتغير فيها الفرع أريد منه التنبيه إلى أنها مداخل جديدة مختلفة عن بعضها وإن اتفقت في الحروف التي تتشكل منها وفي وزنها الصرفي وانتمائها المقولي وتختلف في خاصية واحدة وهي الدلالة؛ ما يجعل القارئ أمام كلمات مختلفة أفرد لكل واحدة منها مدخل مستقل، فكلمة الصحن كمدخل في الشجرة الأولى وكمدخل مستقلة في فروعها الخمسة، تختلف دلالتها في المواضيع الستة على النحو التالي: شجرة (١) الصحن: قح النبذ، فرع (١) الصحن: إصلاح الشعب، فرع (٢) الصحن: الإحذاء، فرع (٣) الصحن: الضرب، فرع (٤) الصحن: باحة الدار، فرع (٥) الصحن: باطن الحافر، ما يعني أن هذه الدلالات المختلفة تشترك في أنها ترجع إلى كلمة واحدة وهو ما عبر عنه بالكلمة الأصلية، وهو ما يوضحه أسلوبه في شرح المعنى حيث يذكر كلمة الصحن في مداخل مستقلة كل مرة كنوع من التنبيه على تغير دلالة الكلمة أو لاعتبار الصحن في شجرة (1) يختلف عن الصحن في فرع (1) وعن باقي الفروع المتبقية، بعبارة أخرى، إن كلمة الصحن احتملت ستة معاني، مثلما اشتركت باقي الكلمات الأصول في احتمالها لمعاني عدة على مستوى الأشجار المختلفة.

هذه الطريقة في شرح المعنى اعتمدت في معاجم حديثة أحادية وثنائية اللغة، وبما أنها كانت العماد المنهجي للنص المعجمي في كتاب شجر الدر فهذا يعني أنه أسلوب قديم يعود إلى القرون الهجرية الأولى وبداية التأليف المعجمي عند العرب، حيث تظهر كذلك في بعض المعاجم القديمة نذكر من بينها مؤلفاً من القرن الرابع للهجرة لابن سيده وهو كتاب المحكم والمحيط الأعظم، حيث شرح بعض العينات بناء على الاشتراك بفصله بين المداخل نذكر على سبيل التمثيل ما ورد في شرح معنى جذر (ق ش ع) إذ يقول القشع: بيت من آدم، ثم ينتقل إلى عرض سلسلة من المداخل المختلفة من الجذر نفسه وهي القشعة، ثم قشع، وبعده القشاع، ويليه القشاع، ثم انقشع، بعدها يعود من جديد إلى شرح معنى القشع وقد أورده في مدخل جديد بقوله والقشع: السحاب الذاهب المتقشع عن وجه السماء، ثم يذكر عقبه في مدخل مستقل كذلك والقشع والقشع: كُناسة الحمام والحجّام¹⁷. هذه الطريقة في عرض المواد المعجمية كما هو الحال في مدخلي الصحن والقشع أساسها اشتراك اللفظ الواحد في دلالاته على معاني متعددة دون أن يكون بينها أي اشتراك في المعنى، وهو ما يتضح في مثال لفظ

العين الذي يراد به العين الجارحة، وأهل الدار، وسيد القوم والجاسوس إلى غيرها من الدلالات، وهو المثال الذي استشهد به السيوطي في النوع الخامس والعشرين في معرفة المشترك بالبناء على قول ابن فارس الذي قدم مفهوم المشترك بأنه تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، ومع ذلك فإن هذه الطريقة في الشرح لم يعتمدها صاحب المسلسل وإنما اكتفى بفكرة ناظمة أحادية وهي تسلسل الكلمات دون اعتبار لعلاقات المعنى.

6- علاقات المعنى؛ الترادف والضد: يُقصد بعلاقات المعنى الصلات القائمة بين معاني

الكلمات المختلفة والتي سعى إلى إجلائها المعجمي من خلال نصوص المعجم، حيث لا يخفى على أحد أن المعجم يقوم أساساً على الكلمات باعتبارها مفردات تنتمي إلى لغة مجموعة لغوية، وبالتالي فالمعجمي يأخذ من اللغة الطبيعية مادة كتابه، يختار منها ما يدخل ضمن مدونة المعجم وما يسقط عنها بناء على تصوره وفكرته الأولى، والتي وضحها صاحب شجر الدرّ بما تشاجر من الكلام والمعاني؛ أي أن منطلقه من التأليف هو الكشف عن هذه الصلات والوشائج التي تصورها موجودة في الكلام وأجزائه والتي وصفها بالمتداخلة، وأهمها الترادف والضد.

6-1 الترادف: اعتمد المعجميون العرب قديماً وحديثاً على الترادف في شرح المعنى،

والذي يمتاز بالاختصار وتوفير الجهد حيث يكتفي المعجمي بوضع كلمة مرادفة في المعنى أمام الكلمة المراد شرح دلالتها، وهي طريقة شائعة اعتمدها الكثيرون وفي مواضع متعددة، على الرغم من الإشكال الذي تطرحه هذه الطريقة على مستعمل المعجم الذي يجد نفسه أحياناً مقابل هذا النوع من التعريف داخل حلقة مفرغة، لأن تفسير كلمة غامضة بكلمة أخرى يمكن أن تكون غامضة المعنى لدى القارئ؛ يولد لديه نوعاً من الحيرة خصوصاً أن المعجم وجد لإزالة وتجاوز أي غموض وليس إلى تعميقه.

كما وأشرنا سابقاً إلى أن كلمتين في المعجم إذا اتفقتا في التأليف الصوتي والذي يعقبه اتفاق في البنية الصرفية والانتماء المقولي فإننا أمام اشتراك لفظي، أما إذا شمل الاختلاف بين كلمتين هذه المستويات الثلاث ولكن اتفقتا في مستوى الدلالة فإننا بصدد الحديث عن الترادف، ذلك أن الترادف يحصل في اللغة بوضع أسماء متعددة لشيء واحد، وعليه فإننا لا يمكن الحديث عن الترادف في معجم شجر الدرّ إلا على صعيد كلمة وشرح معناها؛ أي يظهر هذا الملمح على مستوى الشجرة وفروعها المستقلة بحيث يشرح معنى الكلمات بكلمات مرادفة، وهي استراتيجية اعتمدها المؤلف في كامل المعجم نذكر على سبيل المثال قوله والبقية: المنظورة، والمنظورة: المرقوبة، والمرقوبة: المضروبة الرقبة¹⁸ حيث يظهر في المثال تسلسل الكلمات في شكل منتظم حيث الكلمة الثانية مرادفة للأولى في كل مرة، غير أن المعجمي يجد نفسه أحياناً عاجزاً عن الالتزام بهذا التسلسل ما يجعله يتحايل في بعض المواضع

لكي يمر مباشرة إلى كلمة أخرى جديدة لذا نضبطه يتخلى عن الشرح بالمرادف بتقديم تعريف لغوي أو معلومة لغوية يضمها الكلمة التي أراد الانتقال إليها والتي لم يتمكن من بلوغها بتداعي الكلمات الذي ابتدأ به نذكر مثالا على ذلك في قوله: والصحن: باحة الدار، والجمع صحنون، وبُوح، والبوح: النفس¹⁹، وهو أمر تفوق عليه فيه أبو الطاهر التميمي صاحب المسلسل الذي أحكم ترتيب الكلمات وتسلسلها حيث تتحول الكلمة الأخيرة في العبارة إلى مدخل جديد بحيث يمكن التكهن بالكلمة التي سيقدم شرح معناها كقوله: والعبون: الرُقباء، والرُقباء: ضرب من الحيات واحدها رقيب، والرقيب، أمين الميسر، والميسر: الانقياد واللين، واللين: النخل²⁰.

6-2- الضد: إنَّ الحديث عن الضد هو في حقيقته حديث عن علاقات الكلمات فيما بينها، وهو كذلك من صميم البحث في علاقات الكلمات في اللغة من حيث الدلالة، وهي دراسة تقوم على تمثيل علاقات أفقية بين وحدات المعجم باعتبارها مفردات يسعى المعجمي إلى توضيح معناها، ذلك أن هذا النوع من العلاقات إما أن يكون على أساس التشابه أو التماثل في المعنى والذي يظهر في الترادف، والذي بيناه سابقا، أو على أساس الضد، وهو يرجع إلى مبدأ العلاقات الخلافية بمفهوم دو سوسير حيث الكلمة لا تُعرّف بها هي وإنما بها ليست هي، لأن اللغة بتعبيره لا تطلب إلا الاختلافات، وبالضد تُعرف المعاني وتدرّك الدلالات، لينتقل تعريف المعنى وفق هذا التصور إلى ما يعرف بالتحديد السلبي، وهو عكس الإيجابي الذي يُكتفى فيه بذكر مكونات المعنى دون أي مقارنة مهما كان نوعها، وهو ما جعل من آلية الشرح بالضد أو الخلاف تلقى قبولا من لدن المعجميين قديما وحديثا، وصاحب شجر الدرّ لا يختلف عن ألف قبله وبعده، وتنص هذه الاستراتيجية على الاتيان بكلمة تكون مختلفة في المعنى عن معنى الكلمة المراد شرح معناها إلى حد الضد كقولنا العلم ضد الجهل، والنور ضد الظلام وغيرها، لكنه مع ذلك لجأ إلى هذه الوسيلة في سياقات قليلة من المعجم حيث استعان بهذا الشرح في الشجرة الأولى مرة واحدة وذلك في قوله: والحديث: ضد العتيق²¹.

7- الاستشهاد بالشعر: تمتاز النصوص في المعاجم القديمة بكثرة الاستشهادات على تنوعها بين شعر ونثر وآيات وأحاديث، والمعجم الذي بين أيدينا لم يجرده صاحبه من هذا التقليد ذلك أنه لم يتخل عن الاستشهاد بالنثر في نصوص المعجم غير أن حظ هذه النصوص النثرية والشعرية كان محتشما، فهو لم يهتم بإيراد الاستشهادات الكثيرة ولم يعتمدها كوسيلة للشرح إلا في مواضع قليلة، والحكم يشمل كذلك الآيات القرآنية التي جاء ذكرها والتي لا تعدى ست آيات مفرقة بين مضمون الشجرة الأولى ومضامين فروعها، أما عن الغرض من إيرادها فهو لا يختلف عن الغرض العام والذي يشمل تدعيم الشرح أو توضيح المعنى، أما بخصوص الأمثال

والحكم فإن العينة التي اعتمدها في الدراسة تحوي عددا قليلا جدا نذكر ما ساقه في معنى البوح: ومن أمثالهم: ابنك ابن بوحك يشرب من صبوحك²².

ويبقى أكثر الأنواع استشهادا بناء على استقراء مضمون الشجرة الأولى وفروعها هو النص الشعري، وهو تقليد شائع في التأليف حيث لا تخلو النصوص في المعاجم القديمة الابتكارية والتقليدية عن تطعيم الشروح بأبيات شعرية والتي تتعدى وظيفتها تحقيق غرض جمالي إلى خدمة غرض وظيفي بالاستشهاد على وجهين إما على شكل الكلمة أو على محتواها الدلالي، حيث يبلغ عدد الاستشهادات إلى تسعة عشر استشهادا في الشجرة الأولى وفروعها، تترواح بين بيت شعري كامل وشطر بيت وبيتين شعريين مكتملين، وقد اعتمد المعجمي على شعراء مختلفين أمثال ابن هرمة وجيري والراجز، لكنه مع ذلك يتجاوز في بعض الأحيان ذكر أسماء بعض الشعراء، حيث يقول: قال الشاعر: أملتبط كملتبط الأليا . . . ومختبط كما اختبط المصاب²³، وغيرها من الأمثلة.

أما عن طريقة توظيف هذه الاستشهادات في النص المعجمي فإن المؤلف كثيرا ما يأتي بالبيت الشعري استشهادا على الكلمة السابقة، كقوله: والميزان: برح من بروج السماء قال ابن هرمة: ألوى بها الجوزاء والميزان²⁴، خلافا لطريقة صاحب المسلسل الذي يسوق البيت الشعري بغرض الانتقال إلى كلمة أخرى وشرح معناها حيث أورد عقيلة حي من لؤي بن غالب . . . كرام المساعي، مجدهم غير زائل، ولؤي: تصغير اللأى²⁵.

8- خاتمة:

سعت هذه الورقة البحثية إلى تحديد مضمون النص المعجمي في شجر الدرّ، بتعيين أهم المعلومات التي يحويها، بالتركيز على التجديد على مستوى هذه النصوص من حيث بنيتها وأهم الخصائص التي ينفرد بها عن النص المعجمي في المعاجم التقليدية والابتكارية، واستعانت الدراسة لأجل ذلك ببعض المقارنات البسيطة بين معجم شجر الدرّ وبعض المعاجم القديمة بالإضافة إلى مقارنة بعض الخصائص بتلك في كتاب "المسلسل في غريب لغة العرب"، هي مقارنة غير قائمة على المضمون بقدر ما هي مبنية على بنية النص وطريقة عرض المعلومات. وقد خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- أن كتاب شجر الدرّ معجم لغوي قائم على مفهوم المدخل ونصه كغيره من المعاجم، إلا أن ميزته تكمن في الطريقة الفريدة في عرض المعلومات والتي تقوم على تسلسل الكلمات حيث السابقة تستدعي اللاحقة.

- أن كتاب شجر الدرّ معجم يختلف عن غيره في خاصية الاشتراك أو المشترك اللفظي، لاهتمام صاحبه بعلاقات المعنى والتي تتجسد في ارتباط وتعلق الكلمات فيما بينها.

- كما أن الاهتمام في النص المعجمي بالمشترك اللفظي تفرعت عنه باقي القضايا التي عالجه المعجمي وأظهر اهتماما بها كالترادف، كما وكشفت هذه النصوص عن طريقة جديدة في شرح المعنى والقائمة على توالد المعاني أو الكلمات حيث كل كلمة تستدعي كلمة أخرى لتتحول الواحدة منها إلى علامة على غيرها في حركة لا نهائية، وكذلك تحول المعنى وفق هذا التصور إلى ناتج لسيرورة مستمرة؛ أو إلى طبيعة غير قابلة للتحديد النهائي أو ينظر إليه كحالة إرجاء لا ينتهي أو في سيرورة غير منتهية.

وفي الأخير، ندعوا الباحثين المشتغلين في المعجمية إلى الالتفات لموضوع النص المعجمي في المعجم العربي القديم والحديث، للإشكالات التي يطرحها والمرتبطة بتصوير المعجمي الخاص للمعنى، وأثر ذلك في بنية النص المعجمي وخصائصه من حيث مكوناته والسبل المعتمدة في التعريف بالمعنى المعجمي.

9- مصادر البحث ومراجعته:

- 1- ابراهيم بن مراد، المعجم العربي بين التنظير والتطبيق، 2009، <https://www.aub.edu.lb/fas/jewett-chair/Documents/arabic-lexicon-theoretical-approaches-benmrada.pdf>، 20 أكتوبر 2019.
- 2- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة، تح: مصطفى الشويبي، مؤسسة بدران، د.ط، بيروت_لبنان، 1964.
- 3- أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي، المسلسل في غريب لغة العرب، تح: محمد عبد الجواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، القاهرة_مصر، 1957.
- 4- أبو الطيب عبد الواحد بن علي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تح: محمد عبد الجواد، دار المعارف، ط3، القاهرة_مصر، 1957.
- 5- الخليل أبو عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، د.ط، دار النشر للنشر، بغداد_العراق، 1980، ج1.
- 6- جورج ماطوري، منهج المعجمية، تر: عبد العلي الودغيري، مطبعة المعارف الجديدة، ط2، الرباط_المغرب، 1993.
- 7- جوزف كورتيس، سيميائية اللغة، تر: جمال حضري، دار مجد للنشر، ط1، بيروت_لبنان، 2010.

6- الهوامش والإحالات:

- ¹- يراجع: أبو الطيب عبد الواحد بن علي، شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تح: محمد عبد الجواد، دار المعارف، ط3، القاهرة_مصر، د.س، ص62.
- ²- يراجع: جورج ماطوري، منهج المعجمية، تر: عبد العلي الودغيري، مطبعة المعارف الجديدة، ط2، الرباط_المغرب، 1993، ص67 وما يليها.
- ³- يراجع: ابراهيم بن مراد، المعجم العربي بين التنظير والتطبيق، 2009، ص07.
- ⁴- يراجع: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، د.دن، د.ط، د.س، ص51.

- ⁵- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 67.
- ⁶- المرجع نفسه ، ص 73.
- ⁷- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 65.
- ⁸- المرجع نفسه ، ص 133.
- ⁹- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 70_71.
- ¹⁰- المرجع نفسه ، ص 72.
- ¹¹- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 64.
- ¹²- المرجع نفسه ، ص 71.
- ¹³- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 63.
- ¹⁴- يراجع: جوزف كورتيس ، سيميائية اللغة ، تر: جمال حضري ، د.دن ، دار مجد للنشر ، ط1 ، بيروت_لبنان ، 2010 ، ص 14.
- ¹⁵- أبو الحسن أحمد بن فارس ، الصحابي في فقه اللغة ، تح: مصطفى الشويبي ، مؤسسة بدران ، د.ط ، بيروت_لبنان ، 1964 ، ص 269.
- ¹⁶- المرجع نفسه ، ص 96.
- ¹⁷- أبو الحسن أحمد بن فارس ، الصحابي في فقه اللغة ، تح: مصطفى الشويبي ، مؤسسة بدران ، د.ط ، بيروت_لبنان ، 1964 ، ص 145.
- ¹⁸- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 78.
- ¹⁹- المرجع السابق ، ص 88.
- ²⁰- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 59.
- ²¹- المرجع نفسه ، ص 68.
- ²²- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 88.
- ²³- المرجع نفسه ، ص 86.
- ²⁴- أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، شجر الدر ، ص 88.
- ²⁵- أبو الظاهر محمد بن يوسف التميمي ، المسلسل في غريب لغة العرب ، تح: محمد عبد الجواد ، د.دن ، د.ط ، د.ب ، د.س ، ص 40.